الذكاء في اللغة

جاءت لفظة الذكاء في معاجم اللغة بمعانٍ كثيرة منها:

«ذَكَتِ النّارُ: ذُكُوّاً، وذَكاً، وَذَكَاءً: اشتد لهيبها واشتعلت.

ويقال ذَكَتِ الشمس: اشتدت حرارتها، وذَكَتِ الحرب: اتقدت.

ويقال ذَكى المسك. فهو ذاكٍ وذكّى.

وفلان ذَكَاءً: سرع فهمه وتوقد، ويقال ذكا عقله...

(ذَكَى) فلان ـ ذكا: ذكا ـ فهو ذكي (ج) أذكياء.

(ذَكَوَ) فلان ـ ذَكَاءً ـ وذَكَاوَةً: فهو ذكيّ، ويقال: ذكو قلبه: حيّ بعد بلادة فهو ذكي (ج) أذكياء»[1].

---

(١) المعجم الوسيط (جـ ١ صـ ٣١٥) مصدر سابق.

الذكاء في القرآن الكريم

لم ترد لفظه ذكاء في القرآن الكريم بمعنى سرعة الفهم وتوقد الذهن وصفاء القريحة وإنما جاءت ألفاظ أخرى تدل على هذه المعاني مجتمعة، وهي تدل على أن مستوى الفهم والإدراك والتعقل للقضايا الكبرى يختص بأولي الألباب وأولي النهى، في مثل قوله تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[2].

إن أولي الألباب هم ذوو العقول المستنيرة المهتدية، وهم الأفذاذ من كل أمة فلا تنتهي عقولهم من درك خاطرة أو فكرة حتى تجيل النظر في أخرى، فهم أهل البيان يكشفون للناس ما قصرت عقولهم عن فهمه وإدراكه، وهم دائماً مع الله يذكرونه قياماً وقعوداً،

---

(١) سورة البقرة آية: ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران آية: (١٩١).

ويعرفونه حق المعرفة.

«يا ذوي العقول الخالصة عن شوب الهوى، وإنما خصهم بالنداء مع أن الخطاب السابق عام لأنهم أهل التأمل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس»[1].

(١) روح المعاني (جـ٢ صـ٥٢) مصدر سابق.

obeikandl.com

الذكاء في دراسات العلماء المسلمين

جاء في كتاب الأذكياء للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي وتحديد معنى الفهم والذهن والذكاء. فقال:

«حد الذهن قوة النفس المهيأة المستعدة لإكتساب الآراء وحد الفهم جودة التهيء لهذه القوة، وحد الذكاء جودة حدس من هذه القوة، تقع في زمان قصير غير ممهل فيعلم الذكي معنى القول عند سماعه، وقال بعضهم حد الذكاء سرعة الفهم وحدته، والبلادة جموده.

قال الزجاج: الذكاء في اللغة تمام الشيء ومنه الذكاء في السن وهو تمام السن ومنه الذكاء في الفهم وهو أن يكون فهماً تماماً سريع القبول...

وتحدث في الباب الرابع عن العلامات التي يستدل بها على عقل العاقل وذكاء الذكي وقسمها إلى قسمين فقال في **الأول**: قال الحكماء الخلق المعتدل والبنية المتناسبة دليل على قوة العقل وجودة الفطنة...

والثاني: يستدل على عقل العاقل بسكوته وسكونه وخفض بصره وحركاته في أماكنها اللائقة بها ومراقبته للعواقب فلا تستفزه

شهوة عاجلة عقباها ضرر وتراه ينظر في الفضاء فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة من مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل ويترك ما يخاف ضرره ويستعدلما يجوز وقوعه»[1].

وفي الباب السابع ذكر بعض الشواهد الدالة على قوة الفطنة الفطرية لرسول الله ﷺ، فساق الخبر الآتي: أخبرنا حارثة بن مضرب عن علي كرم الله وجهه قال لما سار رسول الله ﷺ إلى بدر وجدنا عندها رجلين رجل من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط فأما القرشي فأفلت وأما مولى عقبة فأخذناه فجعلنا نقول له كم عدد القوم، فيقول هم والله كثير عددهم شديد بأسهم فجعل المسلمون إذا قال ذلك يضربوه حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال له كم القوم، فقال: هم كثير عددهم شديد بأسهم فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم فأبى، ثم إن النبي ﷺ سأله كم ينحرون من الجزر فقال عشراً بكل يوم فقال رسول الله ﷺ القوم ألف[2].

وذكر من دلائل فطنة أبي بكر هذا الخبر «حدثنا ثابت عن أنس قال لما هاجر رسول الله ﷺ كان رسول الله يركب وأبو بكر رديفه، وكان أبو بكر يعرف الطريق لإختلافه إلى الشام فكان يمر بالقوم فيقولون من هذا الذي بين يديك يا أبا بكر فيقول هادٍ يهديني»[3].

---

(١) بتصرف من كتاب الأذكياء (صـ ١١ : ١٤) أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ـ مكتبة الغزالي.
(٢) المصدر السابق (صـ ٢٠).
(٣) المصدر السابق (صـ ٢٣).

وساق من دلائل فطنة عمر فساق هذا الخبر «حدثنا بريد بن جرير عن أبيه عن عمر قال له والناس يتحامون العراق وقتال الأعاجم سر بقومك فما قد غلبت عليه فلك ربعه فلما جمعت الغنائم، غنائم جلولاً ادعى جرير أن له ربع ذلك كله، فكتب سعد إلى عمر بذلك فكتب عمر صدق جرير، قد قلت ذلك له، فإن شاء أن يكون قد قاتل هو وقومه على جعل فأعطوه جعله، وإن يكن إنما قاتل للّه ولدينه ولحبيبه فهو رجل من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم، فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جريراً بذلك، فقال جرير صدق أمير المؤمنين لا حاجة لي به بل أنا رجل من المسلمين»[1].

لقد تمتع صحابة رسول الله ﷺ أجمعين بقوة الفطنة وحدة الذكاء وسرعة الفهم، وذكاء القريحة والفراسة، وغير ذلك من الصفات العقلية العليا، وما خلا عصر من عصور الإسلام الأولى أو الوسيطة أو المتأخر من جمهرة من العلماء الذين تميزوا بحدة الذكاء وقوة الفطنة وسرعة الفهم، ولا أدل على ذلك من التراث الفكري الضخم الذي خلفه علماء الإسلام في كل عصر من العصور في جميع المجالات العلمية النظرية والتجريبية.

وقد بين الإمام أبي حامد الغزالي تفاوت العقول في درجات الفهم والإدراك. فقال: «كيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلفت الناس في فهم العلوم ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من العلم وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم كما قال تعالى: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور﴾ ـ وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ يتضح في بواطنهم أمور من غير تعلم وسماع ويعبر

---

(١) المصدر السابق (صـ ٢٤).

عن ذلك بالإلهام»[1].

وأن أبا حامد لو استدل بقوله تعالى: ﴿وعلمناه من لدناً علماً﴾ لكان أوضح في الدلالة على ما أراده.

إن الذكاء عامل مشترك في جميع الوظائف العقلية، أي لا تنفك عنه عملية من عمليات العقل كالإدراك والتفكير والتذكر وغير ذلك من أوجه النشاط العقلي. بمعنى أن الذكاء يلعب دوراً بارزاً في الإدراك وكذا التفكير والتذكر والتخيل والتصور.

(١) إحياء علوم الدين (جـ ١ صـ ٧٨) مرجع سابق.

obeikandl.com

الذكاء عند علماء النفس

لقد عرف علماء النفس الذكاء بتعريفات كثيرة تختلف فيما بينها إختلافاً بينا. وفيما يلي إثبات جملة من التعاريف المنصوص عليها في الدراسات النفسية.

الدراسة الأولى:

«الذكاء هو قدرة عضوية لها أساس في التكوين الجسماني. ويرجع اختلاف الأفراد فيه إلى اختلافهم في التكوين العضوي، وهذه القدرة بهذا المعنى موروثة. ولا يعني هذا أن الذكاء لا يتأثر بالبيئة، بل يتأثر بها. وواضح أن أنصار هذا التعريف يؤكدون العوامل الوراثية.

ويرى «بينت Binet» أن الذكاء هو قدرة الفرد على الفهم والإبتكار والتوجيه الهادف للسلوك والنقد الذاتي، بمعنى قدرة الفرد على فهم المشكلات والتفكير في حلها، وقياس هذا الحل أو نقده وتعديله.

ويرى «شترن Stern» العالم الألماني أن الذكاء هو القدرة على التصرف السليم في المواقف الجديدة.

ويرى «ترمان termen» أن الذكاء هو القدرة على التفكير المجرد.

ويرى «ثورنديك Thorndike» أن الذكاء هو مجموعة القدرات الخاصة المستقلة.

أما «كلفن Colvin» فيرى أن الذكاء هو القدرة على التعلم أو القدرة على التحصيل وهذا التعريف أكثر شيوعاً وكثيراً ما يستخدم في المحيط المدرسي.

ويرى «كهلر Cohler» أن الذكاء هو القدرة على إدراك العلاقات.

ويعرف «ستودارد Stodard» الذكاء بأنه القدرة على القيام بأنواع النشاط العقلي تتضح فيها العوامل الآتية:

الصعوبة، التعقيد، التجريد، السرعة، التكيف للوصول للهدف، القيمة الإجتماعية، الإبتكار، الإقتصاد في الوقت والجهد، القدرة في الإستمرار في الظروف التي تتطلب تركيز الطاقة العقلية ومقاومة العوامل الإنفعالية»[1].

الدراسة الثانية:

«إن ما نسميه ذكاء إن هو في حقيقة الأمر إلا مجموع هذه القدرات العقلية الأولية السابق ذكرها[2]، ولذلك فقد يسمى أحياناً بالقدرة العقلية العامة. وربما كان البعض يعتقد فيما مضى أن الذكاء قدرة واحدة منفصلة عن هذه القدرات جميعاً، ولكن الواقع، كما قلنا، هو أن الذكاء ليس شيئاً في ذاته منفصلاً عن مجموع ما تستطيع أن تقوم به ذهنياً. وعلى ذلك فكما أن الأفراد يختلفون من حيث ما

---

(١) علم النفس التعليمي (جـ ٢ صـ ١٨٠٨) د/ محمد خليفة بركات ـ دار القلم ـ كويت.

(٢) النمو في مرحلة المراهقة (صـ ٦٥) د/ محمد عماد الدين اسماعيل.

يتمتعون به من قدرات كماً، ونوعاً، كما سبق أن أشرنا، فإنهم أيضاً يختلفون من حيث المقدار الذي يتمتعون بـه في المجموع العام لهذه القدرات[1] .

ويقول الدكتور / فؤاد أبو حطب بصدد كثرة التعاريف واختلافها:

«أن هذا الميدان يعاني من إحدى المشكلات المنهجية الخطيرة وهي مشكلة تعريف المصطلح. وترتب على هذا شيوع الإعتقاد بأن مفهوم الذكاء بمعناه العلمي لا يوجد اتفاق على تعريفه، ويذكر النقاد في هذا الصدد نتائج الإستفتاء الشهير الذي أجرته مجلة علم النفس التربوي الأمريكية منذ أكثر من ٥٠ عاماً حين وجه محرر هذه المجلة سؤالاً إلى عدد من قادة حركة القياس العقلي في ذلك الوقت، طلب فيه تحديد معنى الذكاء، وكانت النتيجة أن تلقى عدداً من الإجابات بقدر عدد العلماء الذين اشتركوا في الإستفتاء»[2].

أما الدكتور / عبد المجيد نشواني، فإنه يرجع أسباب الخلاف إلى تنوع أساليب العلماء في فهم طبيعة الذكاء. فقال:

«اتخذ علماء النفس أساليب متنوعة في فهم طبيعة الذكاء ومكوناته، وقد كانت المشكلة الأساسية التي واجهها هؤلاء هي ما إذا كان الذكاء مكوناً من قدرة عقلية واحدة عامة، أم من قدرات عقلية متعددة ومستقلة؟ ولا يخفى ما لهذه المشكلة من آثار تربوية هامة تتعلق بالعملية التعلمية ـ التعليمية ككل، فإذا كان بعض الطلاب مثلاً، متفوقين من حيث القدرة على معالجة الرموز الرياضية، فهل

---

(١) المقصود بالقولات القدرات ـ الفهم اللغوي ـ القدرة المكانية ـ القدرة على التفكير ـ العددية ـ اللفظية.

(٢)القدرات العقلية (صـ ٩٤) د/ فؤاد أبو حطب مكتبة الأنجلو المصرية طـ ١.

يعني هذا بالضرورة تفوقهم في أي مجال معرفي آخر، أم أنه مستقل عن المجالات المعرفية الأخرى؟ ولقد اتجه العلماء اتجاهات مختلفة في الإجابة عن هذا السؤال، وفيما يلي وصف مختصر لأهم هذه الإتجاهات[1].

وبين أن سبيرمان قام بتطبيق مجموعة من الإختبارات العقلية على عدد من الطلاب، فوجد أن النشاط العقلي يتأثر بعاملين (العامل العام ـ والعامل الخاص).

العامل العام:

عبارة عن طاقة عقلية عامة متضمنة كافة-النشاطات العقلية للفرد، ويعني بإدراك العلاقات، وأن **الخاص** يعني بالمهارات الخاصة، وقد بين سبيرمان أن العمليات العقلية العليا، كالتفكير الإستدلالي والتفكير الإبتكاري، أكثر تشبعاً بالعامل العام من القدرات الخاصة الأخرى كالقدرات المكانية أو الحسية الحركية أو القدرة على التذكير[2].

والذي يبدو لي أن الذكاء كقدرة عامة يدخل في جميع الوظائف العقلية العامة وكذا القدرات الخاصة، فذوي الذكاء يتميزون في قدراتهم الخاصة بمستوى ذكائهم ولا يلزم من ذلك تميزهم في القدرات الأخرى التي توافق ميولهم وطبائعهم.

---

(١) علم النفس التربوي (صـ ١٠٥) د/ عبد المجيد نشواني ـ دار الفكر ـ الرسالة.

(٢) انظر المصدر السابق (صـ ١٠٦).

نمو القدرات الطائفية

تعتبر المراهقة مرحلة القدرات الطائفية، حيث تظهر فيها بوضوح أكثر وتتميز عنها في مرحلتي الطفولة والصبا، وإن كانت في أصلها تعتمد، عليهما، غير أن التميز العددي والكمى لهذه القدرات يستمر في الزيادة طول فترة المراهقة، وفيما يلي تناول لأهم القدرات الطائفية.

١ ـ القدرة اللفظية:

وتعني قدرة المراهق على التعبير اللغوي عما يدور بخلده وما يجده من مشاعر وإحساسات ووجدانات، وكذا قدرته على فهم الألفاظ المترادفة والتعبيرات المختلفة، والتراكيب العالية، ويظهر عند بعض المراهقين الذين يتميزن عن غيرهم في هذه القدرة عشق هؤلاء للمعاني العالية والأسلوب البلاغي، ويميلون إلى التعبير بواسطة المجازات والإستعارات وغير ذلك مما يضفي على كتاباتهم شفافية عالية.

٢ ـ القدرة المكانية:

وتعني قدرة بعض المراهقين على تحديد أنواع الأشكال الهندسية المختلفة واتجاهات الحركة للآلات، ويتميزون بإدراك

العلاقات بين الأشكال والمجسمات الهندسية من حيث طول أضلاعها ومحيطاتها وزواياها، وعند قياسها بوسائل المقاييس الهندسية لا نجد فارقاً كثيراً عما سبق أن قرره بعضهم دون استخدامهم لوسائل القياس.

٣ ـ القدرة العددية:

تبدو عند كثير من المراهقين قدرة مذهلة في الكثير من العمليات الحسابية فنجد عند بعضهم قدرة عالية في إجرائها ذهنياً دون استخدام الأدوات الكتابية التي تستخدم عادة في إجراء هذه العمليات، وقد يجتمع عند فرد أو أفراد مراهقين قدرتين أو ثلاث قدرات طائفية متساوية أو متمايزة، وقد لاحظت مثل ذلك في أحد زملائنا بمعهد القاهرة الديني الثانوي الجمع بين القدرة اللفظية والعددية، وقد تميز عن سائر الزملاء بالحفظ التام للقرآن الكريم ـ برقم آياته وما كان يغيب عنه شيء من ذلك، وأوضح المظاهر الدالة على هذا أنه إذا سئل عن آية من القرآن الكريم، فإنه ينسبها إلى سورتها ويذكر رقمها، ويحدد مكانها في المصحف الشريف، فيذكر بأنها في أعلى الصفحة أو وسطها أو آخرها، كما كان لديه قدرة على كتابة الآيات بخط الإملاء وبالرسم العثماني كذلك دون خطأ يذكر[1].

---

(١) انظر المرجع السابق (صـ ١٠٣) وأنظر الأسس النفسية للنمو (صـ ٢٩٠) د/ فؤاد البهي مرجع سابق، وانظر أيضاً علم النفس التربوي من (صـ ٦٥٦: ٦٠٠) د/ أحمد عزت راجع مرجع سابق.